

صراعاتٌ و غريزاتٌ في أونطولوجيا التعدد لدى نيتشه

Conflits et Instincts dans l'ontologie pluraliste

chez Nietzsche

بوجاوي ناصر الدين * : طالب دكتوراه

إشراف: ا.د. حياة بن بوزيد، *

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر

الملخص

تتناول هذه المقالةُ بعمامةٍ المبدأ التكويني الذي يفسرُ كافةً مراتب الوجود لدى نيتشه بوصفه "إرادة القوة" ويعالجُ بخاصةٍ خاصيتين أونطولوجيتين لا تفهم "إرادة القوة" بمنأى عنهما ولا يفهم كذلك الوجودُ في غنى عنهما وما هاتان الخاصيتان غير الكثرة و الصراع. وأعربنا، على ضوء هذا البسط لمفهوم "إرادة القوة" وخاصيتها، عن المعقبات النظرية والعملية التي تنجزُ من ذالك المفهوم وخاصيته، من فوضوية البنية العلائقية للقوى وتفاضلية القوى وظرفية الوحدة والانسجام ومنطقي التدافع ومسارِ التصارع في سبيل القوة الذي يحكم الوجود في كافة مستوياته الوجودية. وتوصلنا في تبیان هذا جميعه المنهج الفينومينولوجي للوقوف على ماهية إرادة القوة كما تتجلى في نصوص نيتشه والمنهج البنيوي بتتبع جميع المفاهيم في نصوصه مفسراً بعضها ببعض على ضوء رؤية شاملة ومقاصدية.

الكلمات المفتاحية : إرادة القوة، التعدد، الصراع، الجثمان، السيطرة.

Résumé :

Cet article porte généralement sur le principe formatif et génétique surnommé par Nietzsche de « volonté de puissance », qui explique l'ensemble des degrés catégoriels de l'être et traite particulièrement deux caractéristiques ontologiques que la « volonté de puissance » et l'être ne s'expliquent pas indépendamment d'eux, qui ne sont que pluralité et lutte. Nous avons exprimés, à partir de cette exposition du concept de « volonté du puissance » et ses caractéristiques , les implications théoriques et pratiques qui en dérivent , comme l'anarchie de la structure relationnelle des puissances , la différenciation des puissances, l'éphémérité de l'unité et de l'harmonie , la logique conflictuelle et du processus d'affrontement pour la puissance qui régit l'être dans tous ses niveaux existentiels . Nous avons employé, à travers la démonstration de tout cela, l'approche phénoménologique pour déterminer la nature de la volonté du puissance, comme elle se manifeste dans les textes du Nietzsche et l'approche structurelle en suivant tous les concepts dans ses textes qui s'expliquent mutuellement à partir d'une vision globale et intentionnelle.

Mot clés : Volonté de puissance, pluralité, conflit, corps, domination.

* boudjaouinacereddinephilo@gmail.com

* Hayet47@live.fr

1- مقدمة

لا مندوحة لنا إذا ما أردنا أن نفهم العالم بعامة و الإنسان بخاصة من أن نشرع بادئ بدء في تبيان الخصائص التكوينية التي يتألفان منها، و تطويع ذالك الفهم للعالم الذاتي و العالم الموضوعي في سبيل المزيد من الرقي و التقدم في كافة أصعدة الحضارة، و لهذه الغاية الجليلة انبرى الفلاسفة والعلماء لكي يقدموا لنا مقاربات متنوعة عليها تصيب كبد الوقائع وجوهر الظواهر تمهيداً لتغيير العالم لكي يكون على الصورة التي يريدها الإنسان، لأن الحضارة لا تبنى إلا بالإرادة ومنشأ التغيير في العالم يرتد في النهاية إلى مفهومي الفهم (النظر) والإرادة (العمل). ولا غرو أن يكون تفسير نيتشه الفلسفي للعالم الإنساني والعالم الموضوعي من بين أكثر التفسيرات طرافة وأصالة من جهة، و أكثرها جرأة و خطورة من جهة ثانية لانبناء فلسفته الحيوية والحضارية على مفهوم "إرادة القوة". ذلك أن نيتشه أول من فهم العالم بمختلف مستوياته على أنه إرادة قوة و ما هذا السعي الدائم للإرادات إلى المزيد من القوة و النفوذ والسيطرة سواء على صعيد الكينونة أو على صعيد الملك إلا تجلياً لهذا المبدأ الأونطولوجي. و ليس بغريب أن يفضي القول بإرادة القوة لدى نيتشه إلى إسناد جملة من الخصائص الأونطولوجية إلى العالم ولا تنفك بمقتضى ذلك "إرادة القوة" عن تلكم الخصائص المفسرة لها و المعبرة عنها، و ليست بعض تلكم الخصائص إلا خاصيتي الكثرة و الصراع. و ليس الإنسان و العالم على ضوء ذلك إلا تعدديات من الاندفاعات الغريزية حيث الصراع بمثابة الطابع العلائقي الذي يحكم العلاقات بين القوى المشكلة للإنسان و العالم. و لقد انتهج طرح نيتشه الفلسفي منهج الرد الحيوي الذي بموجبه تمكن من الانطلاق من واقعة الجسم الإنساني بما هو غرائز متدافعة لكي ينتهي بتعميم ذلك على العالم العضوي و غير العضوي ليخلص إلى نتيجة مفادها: إن كل كائن في العالم عبارة عن غرائز حيوية متكثرة تسعى بناءً على مبادئها التكوينية إلى القوة. و بناءً على هذه المقدمات التوضيحية، نأتي إلى عرض الإشكالات التي تعترضنا؛ فما المقصود، على ضوء التفسير الحيوي، بإرادة القوة لدى نيتشه بادئ الأمر؟ أيمن اعتبار التنازع والصراع خاصية للوجود وطابعاً علائقياً للقوى؟ هل من الصواب أن نعتبر الكثرة خاصية أونطولوجية بمقتضاها تكون الوحدات المستقرة في العالم ظرفية و نتيجة لصراع الكثرات؟ ما السبيل و المنطلق الأمثل للوقوف على حقيقة الكثرة والصراع في وقائع العالم؟. بناءً على هذه الإشكالات، سنفحص فرضية نيتشه التي تذهب إلى أن إرادة قوة لا تكون المبدأ النشوي للعالم في مختلف أصعدته فحسب و إنما هي تحركه في مسار تجاوزي صوب المزيد من الاقتدار من وجه و تتجلى فيها من وجه آخر. و سنتحقق أيضاً من الفرضية التي ترى أن التدافع والصراع سنة من سنن العالم/ الحياة/ الوجود لا نملك لها تبديلاً ولا تحويلاً.

2- الكينونة والقوة في فلسفة نيتشه

1.2- إرادة القوة أو في الغريزة التكوينية للوجود

من الأهمية بمكان أن نبدأ مقالنا هذا بتبيان أن فلسفة نيتشه قائمة على فهم خاص للوجود بمختلف مستوياته، محاولاً فهم مختلف أصعدة العالم بدءاً بالعالم غير العضوي و مروراً بالعالم العضوي و انتهاءً بالإنسان ومختلف صنائعه الروحية و المادية على ضوء مبدأ عام يسمح بتفسير ظواهر الوجود تفسيراً مواتياً كتمهيد لتغييره وفق إرادة الإنسان المتناغمة مع المنطق الحيوي الذي يحكم العالم، وليس هذا المبدأ إلا "إرادة القوة" التي هي بمثابة القوة الدافعة و المحركة الوحيدة التي تنعدهم خارجها على السواء أية قوة فيزيائية أو ديناميكية أو نفسية¹. ولا مندوحة لمن أراد تحقيق مسألة الإرادة لدى نيتشه من أن يفهم "إرادة القوة" على أنها الوحدة الأولية² للانفعال الأصلي³ بما هو الماهية السديمية السحيقة والمتحوّلة، والطبيعة الأصلانية المائعة والمستعصية لإرادة القوة⁴ و بما هو الكيان الأصلي الذي تعثر الرغائب فيه على وحدة لها؛ طبقاً لهذا جميعه من الضروري أن نفهم هذه الوحدة نفسها بوصفها الغريزة الأقوى التي قادت ووجهت كل التطور العضوي⁵.

إن العالم، بموجب ذلك، عبارة عن قوى متحركة و بتعبير دقيق عبارة عن إرادات قوة، و يؤكد ذلك قول نيتشه: "إن العالم منظوراً إليه من الباطن، العالم المعرف و المحدد من خلال طابعه المعقول، سيكون بهذه الطريقة إرادة قوة ولا شيء آخر"⁶ و في هذا دليل أن لا شيء في الوجود يعزب عن الحلول البنيوي لإرادة القوة ولا يوجد شيء بمنأى عن المبدأ التكويني الذي يؤلفه، ذلك أن العالم

¹ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes tome XIV, Fragments posthumes, Début 1888 – début janvier 1889, Paris, Gallimard, NRF – Traduction Jean Claude Hémery, 1977, 14 [121].

² Friedrich Nietzsche: La volonté de puissance, Essai d'une transmutation de toutes les valeurs, Paris, Librairie Générale Française, Le livre de Poche, 1991, aphorisme 302 - Voir. Fragments Posthumes XIV 14 [121].

³ Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XIV, 14, (121).

"إن إرادة القوة هي الشكل البدائي للانفعال، وما الانفعالات كلها إلا تطورات منها"

⁴ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes tome XI, Fragments posthumes, Automne 1884-Automne 1885, Paris, Gallimard, NRF – Traduction Michel Haar et Marc B. de Launay, 1982, XI, 40[53].

⁵ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes tome XII, Fragments posthumes, Automne 1885 –Automne 1887, Paris, Gallimard, NRF – Traduction Julien Hervier, 1978, 1 [30]: « A Point de Départ psychologique ...-les désirs se spécialisent de plus en plus: leur unité, c'est la volonté de puissance (pour emprunter l'expression au plus fort de tous les instincts, celui qui a dirigé jusqu'ici toute évolution organique).»

⁶ Friedrich Nietzsche: Par delà le bien et le mal, Prélude d'une philosophie de l'avenir, Traduction par Henri Albert. aphorisme 36.in Nietzsche, (F.), ŒUVRES I, Paris, Robert Laffont, 1993.

L'univers vu du dedans, l'univers défini et déterminé par son « caractère intelligible », ne serait pas autre chose que la « volonté de puissance »

Voire une autre traduction :

Friedrich Nietzsche: Par-delà Bien et Mal, coll. "folio/essais", Paris, Gallimard, 1971.(1993). Trad. de l'allemand par Cornélius Heim. Édition de Giorgio Colli et Mazzino Montinari : « Le monde vu de l'intérieur, le monde défini et résigné par son " caractère intelligible " serait ainsi " volonté de puissance " et rien d'autre. —»

في ماهيته الباطنية إرادة قوة وهذا ما يشير إليه نيتشه قائلاً: "إنّ هذا العالم هو عالمُ إرادة القوة ولا شيء غيره! وأنتم أنفسكم أيضاً إرادة القوة هذه ولا شيء غيرها"¹.

تعقيباً على ما أوردناه أعلاه، يقدم نيتشه في المجلد الرابع عشرة من الأعمال الكاملة "إرادة القوة" من وجهة نظر سيكولوجية على أنها وحدة أصلية وأولية للمتعدد الذي لن يكون سوى تطور وتحول لها²، وما يزيد هذا المنظور وضوحاً ورود شذرة ضمن المجلد الثاني عشرة من الأعمال الكاملة حيث يقدّم أيضاً إرادة القوة- بما هي المنطلق السيكولوجي - بمثابة وحدة جامعة لل رغائب التي تؤلّ في المنتهى رغم تعددها إلى هذه الطاقة الغريزية الأصلية [أي إرادة القوة] التي بفضلها تحقّق التطور العضوي³. ومما تناصرت عليه بعض الأدلة أن مفهوم "إرادة القوة" مصطلح استعمله نيتشه ليلمّ به في صياغة تركيبية جملة التحديدات المُعَيَّنة للكينونة كما يفهمها من قبيل الصبرورة ولعبة الواحد والكثير والمنظورية وعلى نحو مخصص الصراع و بالتالي فهو يجمع كل خاصيات "الكينونة" وسمّيتها تحت مقولة واحدة يسميها إرادة القوة⁴.

2.2- التفسير الحيوي والتفاضلي للعالم أو في أكنوبة التوازن والمساواة في الوجود

لا غرو من أن يفضي المبدأ الغريزي لإرادة القوة بنيتشه إلى توجيه انتقادات لازعة إلى التصور الميكانيكي للقوة، و تدور هذه الانتقادات حول ثلاثة مسائل: ضد التطابق المنطقي، ضد المساواة الرياضية، ضد التوازن الفيزيائي، أي ضد الأضرِب الثلاثة ل- لا تمايز⁵. ولهذا السبب اتخذ نيتشه موقفاً نقدياً حيال العلم الذي لا يراعي ما للقوة من صلةٍ يمتنع تقطيعها ومن لُحمةٍ يتعذرُ تفتيتها، فيخطأ، عاقبةً على تجاهله هذا، كبَدّ الواقع إذ يقوم بترييض الطبيعة برؤيتها ناصباً بين القوى المفصولة والمعزولة علاقات عليّة بينها⁶.

وهذا الفصل في قلب الظواهر للعلائق والتواشج التي تربطها بوثاق متين هو الذي حدا بنيتشه إلى نقد التصور العلمي لمفهوم القوة الذي ينصّب بين القوى المفصولة والمعزولة علاقات عليّة ذات طابع

¹ Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes : XI, 38]12]

² Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes tome XIV, Fragments posthumes, Début 1888 – début janvier 1889, Paris, Gallimard, NRF – Traduction Jean Claude Hémery, 1977 : XIV, 14 [121]: « La volonté de puissance - d'un point de vue psychologique. Conception unitaire de la psychologie. Nous sommes habitués à admettre que le développement d'une monstrueuse abondance de formes est conciliable avec une origine qui serait une unité première. Que la volonté de puissance est la forme primitive de l'affect, que tous les autres affects n'en sont que des développements.»

³ Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XII 1 [30]:« A. Point de. Départ psychologique :-notre pensée et nos appréciations de valeur sont seulement une expression des désirs qui règnent derrière eux. -Les désirs se spécialisent de plus en plus: leur unité, c'est la volonté de puissance (pour emprunter l'expression au plus fort de tous les instincts, celui qui a dirigé jusqu'ici toute évolution organique.)»

⁴ Jean Granier : le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, Edition Seuil 1966 .P366.

⁵ Gille Deleuze: Nietzsche et la philosophie, Edition PUF ,1962, p51.

⁶ Pierre Montebello: Nietzsche la volonté de puissance, PUF 2001, p.46

رياضي متجاهلاً الطابع العلائقي للقوة الممتنع عن التقطيع¹. و بموجب ذلك يهاجم نيتشه التفسير العلي الذي فهم الظواهر على ضوء مفهوم التعاقب ويستعيز عنه بتفسير حيوي يذهب إلى العلاقة بين الأحداث هي رابطة صراع بين قوى متفاوتة وغير متناظرة منذ البداية، وتزدهر إذًا تلك القوى في غضون التقاتل الذي يجري بينها تحت صورة تفاضلية على غير ذي مساواة²، أضف إلى هذا أن مسار المعارك ومنتهاها لن يكون سوى ترتيب سلمي جديد وبناء هرمي مُحدث وحصول على مقادير إضافية من القوة تبعاً لمقدار كل قوة³.

تقوّض هذه الرؤية الحيوية للعالم دعائم جوهرانية الميتافيزيقا من خلال تلاقٍ للقوى المتصارعة لأجل الهيمنة التي تتركز عليها، وبداعي أن كل قوة، بما هي بؤرة طاقة، في رحاب العالم هي خلفان و تفاضل بين القوى وصلة على الأقل بين فرقين⁴. وبموجب ذلك نلفي نيتشه يفهم "إرادة القوة" بوصفها مبدأ التفريق والامتياز الأرستقراطي⁵ الذي بمقتضاه تغدو كل الكائنات المجهرية والأكبيرة مبعثرة مُفرقة إلى زمر وطُرز متفاوتة من حيث الكينونة والملك. قياساً على المنحى التفاضلي الذي يحكم العالم، يتوجب على الأنفس ذاتها أن تشرئب إلى التباين والتغاير فيما بينها، وبناءً على ذلك فالواقع عينه بما ينطوي عليه من تنافر وتضاد، من صراع وتناقض، هو ما يكون لحسن الحظ مرغوباً⁶ طالماً أن العالم التدافعي هو الذي يسمح بالتفاضل والارتقاء.

لا مرية، بالنسبة لنيتشه، أن ينصرف العالم في سيرورته بمعزل عن "مبدأ" و"قانون" و"نظام" يحكم مقادير القوة المكوّنة له بل إن هذه المقادير وفق ماهيتها تمارس قوتها على مقادير أخرى⁷ من غير ناموسٍ يملي عليها منوالاً قاراً في الفعل. وهذا التضاد الكوني هو في الوقت نفسه مُحركٌ للصيرورة واللاتوازن الذي بدونه لن تحدث أية سيرورة أنطو- جينية⁸ antogénétique، لأن العالم في ماهيته الحقة ليس جهازاً منظماً وفق قوانين ثابتة بل هو فوضى وشواش⁹، إن هو إلا صلة بين قويتين أو أكثر¹⁰ بحيث يكون كل ما يحدث بين القوى هو درجات التفوق والمقاومة وذلك بمعزل عن أية قوانين، بما

¹ Pierre Montebello: Nietzsche la volonté de puissance, p.46

² Friedrich Nietzsche : Volonté de puissance. Trad. De l'allemand par Geneviève Bianquis. Paris : Gallimard. 1995, Tome II, Trad. Geneviève Bianquis, II 91 .

³ Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XIV, 14 [95].

⁴ Pierre Montebello: Nietzsche la volonté de puissance, p.43

⁵ Idem, 44.

⁶ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes tome XIII, Fragments posthumes, Automne 1887-Mars 1888, Paris, Gallimard, NRF — Traduction Pierre Klossowski, 1976, 11[156].

⁷ Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XIV, 14 [81].

⁸ Pierre Montebello: Nietzsche la volonté de puissance, p.48.

⁹ Friedrich Nietzsche: La volonté de puissance, Trad Henri. Albert, aphorisme 316: « Le monde n'est nullement un organisme, mais c'est le chaos.»

¹⁰ Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XI 2 [139] .

أن كل منه القوى تستخرج نتائجها ومفعولاتها في كل لحظة¹ حيثُ التنازُع هو الذي يجعل التجدد الكوني ممكناً.

3- الوجود بوصفه تعدّداً وصراعاً

1.3- الوجود والصراع أو في التنازع الذي يحكم الإنسان والعالم

يفضي قولُ نيتشه بأن كينونة العالم، بما هو عالمٌ علائقي، تختلف في كل نقطة من نقاطه تبعاً لمقدار القوة² إلى نتيجة في غاية الأهمية: مفادها أن أي سعي نظري إلى فهم ماهية العالم، على ضوء الفصل التجريدي، ينتهي إلى خطأ جسيم في استيعاب الطابع الحيوي الذي ينماز به، ويفضي أيضاً إلى صُم عن جَلَبَات التدافع في تضاعيفه وُعْي عن مشاهدة التصارع في مجرياته؛ وفي هذا غفلة عن الطابع التفاعلي الذي يُقوّم العالم ويحذرنا نيتشه من هذا الصنيع قائلاً: "إننا نتجاهل عبر التجريد كون كل ذرة في العالم تمارس، بوصفها مقداراً معيناً من إرادة القوة، فعلها وتأثيرها على العالم بأسره حينما نغض الطرف عن إشعاع إرادة القوة".³

بناءً على ما أوردناه أعلاه، يتبين لنا أن التدافع الثاوي في قلبِ التعالقات و التفاعلات بين القوى المؤلفة للعالم أمراً لا مناص منه، و العالم إذًا يفتقرُ بشكل ماهوي إلى أي مركز قار، علاوة على اعتماد مراكز قوة في تضاعيف العالم لا حصر لها تطمح كلها إلى الاستحواذ والسيادة والمزيد من القوة⁴، ما يجعل السلم و عدم الاكتراث في سياق هذا العالم أمراً متعذراً، بل ما لا ننفي نلفيه في كافة أصعدة الحياة ليس إلا الاصطكاك و الحرب و التعرف على القوى المتناظرة⁵. و لهذه العلة بالذات، فكل القوى في العالم تنتزع في كل أن أقصى حوصلتها وآخر تحققها⁶؛ و العالم طبقاً لهذا النزوع الجبلي، يقول نيتشه: "محبوك من رأسه إلى أخمص قدميه [كلياً] بشبكات متحركة من القوى، بانفجارات وانحلالات اقتدار [قوى]".⁷

و من الجدير بالذكر، أن منطق التقاتل والتواصل بين القوى المؤلفة للوجود، حسب ما ذهب إليه نيتشه في موضع من المجلد الرابعة عشر، هو بمثابة العلة الصانعة للتحويلات، يوضح نيتشه ذلك: "لم

¹ Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XIV, 14 [79].

² Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XIV, 14 [93].

³ Friedrich Nietzsche: La volonté de puissance, Trad Henri Albert, aphorisme 297. In Œuvres complètes de [Frédéric Nietzsche](#) publiées sous la direction de [Henri Albert](#) Société du Mercure de France, Paris

⁴ Idem, aphorisme 296.

⁵ Idem, aphorisme 337: « Entre ces centres de puissance il y a frottement, guerre, reconnaissance des forces réciproques.

⁶ Friedrich Nietzsche: Par delà le bien et le mal, aphorisme 22. in Friedrich Nietzsche: Œuvres complètes (24 titres annotés et illustrés), Arvensa Editions, 15 juil. 2014.

⁷ Pierre Montebello: Nietzsche la volonté de puissance, p 49: « il est tramé de fond en comble par des réseaux mouvants de forces, des déflagrations ou des dégradations de puissances.»

يكن لنعرف أن نستنبط تحولاً ما لو لم يكن هناك تطاول قوة على قوة أخرى.¹ ونتيجة لذلك فالإبداع والابتكار في معهود نيتشه لا يتحقق إلا في سياق مبارزة مع قوة أخرى.² لا مراعٍ لفهم "إرادة القوة"، وتبعاً لذلك ماهية العالم، من غير أن ننفذ بادئ الأمر إلى الخاصيات الأنطولوجية التي تطبع إرادة القوة، ونتيجة لذلك، تطبع العالم نفسه، ذلك أن نيتشه نفسه يحدد القوة والضعف في البشر وفي جميع ظواهر العالم العضوية وغير العضوية بناءً على مدى استبطان الكائنات لهذه الخاصيات من عدمه، ويدل هذا أن القوي هو من يتصرف على هدي هذه الخاصيات الأنطولوجية للعالم والضعيف هو من يسلك خلافاً لها؛ بعبارة موجزة، القوي هو من يعيش في وفاق مع شمائل الحياة الصاعدة والضعيف هو من يعيش في تناقض معها. بيد أن هاته الشمائل، من وجه، تعمل على تبيان غنى الحياة ورحابتها وتعمل، من وجه آخر، على خلخلة صروح ميتافيزيقا الجوهر وميتافيزيقا الذاتية.

2.3- الكثرة وتجلياتها الوجودية أو في الصراع التعددي للقوى ابتغاء السيطرة

من الظاهر أن العالم الذي يتحدث عنه نيتشه مسكون بالكثرات وهذا المنظور، من غير رجم بالضمنون، يتعارض مع الفلسفات الواحدية التي تنكر الكثرة، ولا مندوحة عقب ذلك أن يذهب نيتشه إلى أن جسد العالم مؤلف من تعدديات حيوية والدليل على ذلك هو أننا نلفيه في مواضع كثيرة من أعماله يتحدث عن كثرة أرواح pluralité d'esprits³ وعن كثرة غرائز pluralité de pulsions⁴ وعن كثرة قوى pluralité de forces⁵ وعن كثرة أنفس pluralité d'ame⁶ وعن كثرة من "إرادة القوة" pluralité de «volonté de puissance»⁷.

واضطلاع نيتشه بالكثرة حدا به إلى القول أن "إرادة القوة" تتأني بصيغة الجموع ما يعني أن العالم عبارة عن مشهد كثرة متحاربة ونشطة في عمق الكينونة.⁸ ولهذا السبب يمكن لنا اعتبار فلسفة "إرادة القوة" على أنها أنطولوجيا التعدد⁹ وبموجب ذلك، لن يكون المتعدد بتاتاً كياناً ماهوياً يقبّع في

¹ Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XIV, 14 [81]: « Nous ne savons déduire une transformation s'il n'y a pas empiètement d'une puissance sur une autre puissance. »

² Pierre Montebello: Nietzsche la volonté de puissance, p 46.

³ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes 1982-1883, 4 [207].

⁴ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes 1982-1883 , Fragments Posthumes: 1884, 27[59].

⁵ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes 1982-1883 , Fragments Posthumes: 1885, 34[123].

⁶ Friedrich Nietzsche: Par-delà le bien et le mal, Trad Patrick Wotling, aphorisme 19, in Friedrich Nietzsche: œuvres ; Flammarion.2017.

⁷ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes 1982-1883 , Fragments Posthumes:1885-1886, 1[58].

⁸ Safranski Rüdiger: Nietzsche Biographie d'une pensée, traduit par Nicole Casanova, Solin, Actes Sud, 2000., p.269: « il n'y a pas de volonté de puissance au singulier, mais seulement au pluriel. Cela va aussi contre l'obsession métaphysique de l'Un. La philosophie de la volonté de puissance est la vision d'une pluralité agonale, dynamique, au fond de l'être. ».

⁹ Jean Granier: Le Problème de la vérité dans la philosophie de Friedrich Nietzsche, p 358.

تجاويفه الواحد بل القول السديد هو الذهاب إلى أن التعدد تحولٌ وتجلٍ للواحد لا غير¹؛ وبعبارة جان غرانبيه، تعبّر إرادة القوة على لعب الواحد والكثير². يوافق نيتشه في مسألة علاقة الكثرة بالواحد هيراقليطس ويخالف جوهر أطروحة برمينيدس، إذ يقول في هذا المقام: "إنّ الكثرة التي هي عند برمينيدس وهمٌ حواسٍ هي بالنسبة لهيراقليطس لباسٌ للأوحد* والصورة الظاهرية للأوحد، وليس البتة وهمٌ؛ إنّ الأوحد لا يمكن أن يظهر بطريقةٍ غيرها³". وهذا العالم الذي يتكوّن من التعدديات القوائية عبارة عن ساحةٍ وغىٍ دائمٍ، تتباطش فيه مختلف مراكز القوة وتتنازع، حيث القوى الفاعلة مدفوعةٌ إلى تجاوز العراقيل في سبيل الانفراد بالسلطان والاستئثار بالأيد⁴. وفي تضاعيف هذا التدافع يفضي الكفاح وهمّة المنافسة إلى تقوية الحياة وانعدامهما يقود على الضد إلى الهزال والضعف⁵.

ولهذه الدواعي ألقى فيلسوف النازية "باوملر" في الصراع والحرب، الذي تحدث عنهما نيتشه، على نظرية في العدالة تجعل الأسياد أسياداً بفضل شجاعتهم والعبيد عبيداً بسبب جبنهم؛ إنّها تلكم العدالة التي لا تعترف إلا بغريزة القوة حيث الحياة بريئة، تلكم البراءة التي تكمن في سلطة القوي على الضعيف، طالما أنّ الأقوياء وحدهم جديرون بإقامة العدالة، أي بإبداع السلم القيمي الذي يسمح بثمين الأشياء جميعاً⁶.

وعلى أساس هذه النظرة النيتشوية، يصبح المجتمع نفسه وسيلةً في يد الأقوياء تُستخدَم لتنشيط الحياة والدفع بها قدماً في مراقبة القوة؛ يقول نيتشه في هذا الشأن: "إنّ التقويم الذي يسمح اليوم بمحاكمةٍ مختلف أشكال المجتمع يتماهى تماماً مع التقويم الذي يمنح للسلم قيمةً أعلى من قيمة الحرب؛ لكنّ مثل هذا الحكم مناقضٌ للحياة، بل هو نتاج الانحطاط في الحياة ... إنّ الحياة نتيجة الحرب، بل إنّ المجتمع نفسه وسيلةٌ للحرب⁷"، وليس بدعاً طبقاً لهذه النظرة المبدئية للحرب، أنّ يواصل نيتشه هذا المنطق العدواني فيجعل من الدولة نفسها وسيلةً، بدل أن يتخذها غايةً، في يد

¹ Gille deleuze: Nietzsche et la philosophie, pp 27-28.

² Jean Granier: Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p360.

³ Friedrich Nietzsche : La naissance de la philosophie à l'époque de la tragédie grecque, trad Geneviève Bianquis, paris, Gallimard, 1938, p 56). suite de la note 1 p 55): « La pluralité qui est , selon Parménide , une illusion des sens , est pour Héraclite le vêtement , la forme phénoménale de l'unique , nullement une illusion ; l'unique ne peut se manifester autrement. ».

⁴ Jean Granier: Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p.361

⁵ Georges Goedert: Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes: souffrance et compassion, Edition Beauchesne 1977, p 48.

⁶ Stepan Odoueu: Par les sentiers de Zarathoustra: Influence de la pensée de Nietzsche sur la philosophie bourgeoise allemande ; Edition du progrès Moscou, 1980. P 256.

⁷ Friedrich Nietzsche: La volonté de puissance, Trad Henri Albert, aphorisme 215 : « L'évaluation qui sert à juger aujourd'hui les différentes formes de la société s'identifie absolument à celle qui prête à la paix une valeur supérieure à la guerre: mais un pareil jugement est anti biologique, il est même un produit de la décadence dans la vie... La vie est une conséquence de la guerre, la société-même est un moyen pour la guerre... »

العابرة والأقوياء المستبدين تبيع لهم الحروب، والكفاح ابتغاء القوة العليا. ولا غرو تبعاً لذلك أن يُبوء الحرب فوق منزلة الدول، ويصبح، على إثر ذلك، المحارب، من حيث الشأو، فوق الموظف¹. وهذه الخطورة في ربط نيتشه الحرب بالرقى لاحظها الكثير من الباحثين ومنهم أوتو فلاكه Otto Flake حيث أعرب بكل شجاعة نقدية في دراسته المُنونة: "نيتشه: عرض استذكري لفلسفته" قائلاً: "لم يكن لديه أبداً رؤى مسالمة، وإنما كان مفتوناً بأكثر الكلمات شيطانية: الحرب"². و مما يصيبُ شواكل السداد القولُ أن الناموسَ الباطني للكثرة، في نظرنيتشه، هو التدافع الحيوي و هذا يعني أن الكونَ في فلسفته مُفتتٌ إلى جُموعٍ دقيقةٍ من الوقائع التي تخاطرُ على نحوٍ متزامنٍ بنفسها ابتغاءَ الفوزِ بمزيدٍ من القوة³، إذ لا يمكنُ أن نُصوّرَ أيَّ جسمٍ اجتماعي في علائقه مع نفسه و في صلاته مع الجُسوم الاجتماعية الأخرى في ملكوت الحياة وَمَنْطِقْهَا دونَ قيمومته الوظيفية التي تكمنُ طبقاً للجبلية التي جُبِلَ عليها في مزاولة أفاعيل الاستيلاء و السلبِ والقمع والاستغلال، ذلك أنَّ النماء و التوسّع و الهيمنة تُعتبرُ من خواصٍ من يحياً وهم جميعاً عيُنُ إرادة القوة التي لا يمكن أن ترتدّ عن طبائعها هاته⁴.

و لقد أسفرتِ شذرات نيتشه، و هو ما أومأت إليه مقدماته الفلسفية كذلك، عن الطابع الأناني للقوى و لزم عن هذا أن تكونَ الأنانية من بواعث الصراع و دوافع النزاع وهو ما أشار نيتشه إليه حينما ذهبَ إلى أنَّ الصراعَ بين القوى الجامحة يتقوى ويشدّ على أساسِ الأنانية التي تهيمُ على العالم العضوي برمته، ذلك أنَّ المخلوقَ العضوي ليس بمقدوره أن يرى الأشياء حسب نيتشه إلا بموجب زاوية نظرتِه الأنانية كيما يستطيع المحافظة على بقائه⁵.

4- في العطفِ الأونطولوجيِّ بين الحياة والجثمان

1-4 الكثرة في الجثمانِ الإنسانيِّ والجثمان الكونيِّ أو في التأويلِ الحيويِّ للحياة

ترامى بنا ما ورد أعلاه، في سياق الرؤية الحيوية لنيتشه، إلى تساءلٍ لا مزحج عنه إذا ما أردنا سبرَ فلسفة التعدد الذي أتى بها، وتخيرنا هذه الصيغة في طرحه: ما السبيل الهادي إلى فهم الكثرة بما هي كذلك؟. أَيْكونُ هذا الطريق كثرة الأفكار؟ كلا، فمهما تعددت الأفكار، فهي بالمقارنة بوقائع الجسدِ فقيرة، ذلك أنَّ ما يميّز به هذا العقل الكبير أو الوعي الكبير الموسوم بالجسدِ هو كونه وعيٌ من طبقة أرقى و كونه جماعة ذات سيادة⁶ وكثرةٌ عجيبة ومعقدة¹ مقارنةً بعالم الوعي المثالي. هذا ما تدل عليه

¹ Stépan Odouev: Par les sentiers de Zarathoustra: influence de la pensée de Nietzsche sur la philosophie bourgeoise allemande, p 258.

² Stépan Odouev: Par les sentiers de Zarathoustra, p304.

³ Idem, p.363

⁴ Friedrich Nietzsche: Par-delà le bien et le mal, Trad Patrick Woltling, in Friedrich Nietzsche : œuvres ; Flammarion, aphorisme 259.

⁵ Friedrich Nietzsche: La volonté de puissance, Trad Bianquis, Tom1, aphorisme 132.

⁶ Friedrich Nietzsche: La volonté de puissance, Trad Geneviève Bianquis, tom 1, aphorisme 226.

هذه الشذرة: "إنَّ الأفكارَ والأحاسيسَ أشياءَ في منتهى الرهافةِ والندرةِ بالمقارنةِ معَ الوقائعِ المتعدِّرةِ إحصائها التي تملأُ أدنىَ اللحظاتِ"² بماهي وقائعُ الغرائزِ اللاواعيةِ المؤلفةِ للجثمانِ العضويِّ، وما نطقت به شواهدُ ظواهر الحياةِ، في نظرِ نيتشه، يخوِّلُ لنا القولُ أنَّ العقلَ نفسُهُ الذي ينتجُ الأفكارَ هو بدوره نتيجةٌ للكثراتِ الأهوائيةِ التي تكوُّنه، يقولُ نيتشه في هذا الصدد: "إنَّ العقلَ ليسَ إلا أداةً في يدِ الانفعالاتِ المتعددةِ على نحوٍ لا يضطلعُ فيها إلا بدورِ الناصحِ الوصيِّ لا أكثر."³

ليس بغريبٍ لفيلسوفٍ مناصرٍ للحياةِ ضد الميتافيزيقا، أن يقدمَ الجسدَ على أنه المنهجُ الأنسبُ للكشفِ عن الكثراتِ المتقاتلةِ التي تقبع في الإنسان والوجود، ولقد اعتبر نيتشه الجسدَ الإنسانيَّ أولَ شيءٍ مُعطى لنا وبإمكاننا تبعاً لمعرفتنا به أن نفهمَ الكونَ عينَهُ، أي أنه انطلاقاً من إرادةِ القوةِ بما هي غرائزُ تشرَّبُ إلى القوةِ في الجثمانِ الإنسانيِّ، أمكنَ لنا أن نفهمَ العالمَ طالما أنه قدَّ على غرارِ أجسادنا، ما يجعل منه مسرحاً للقوى المتنازعةِ في سبيلِ الاقتواء. لأنَّ الجسدَ كما أسلفنا القولَ يسمحُ لنا بالتعرُّفِ على التعددياتِ والسيروراتِ التي تكوُّنُ كيانَ الإنسانِ من جهةٍ وكيانَ العالمِ من جهةٍ ثانية، لكن الجسدَ هنا يفهم على أنه المقامُ العضويُّ التي تتجلى فيه الحياةُ أيما تجلٍ طالما أنَّ حركةَ تفكيرِ نيتشه الحيويِّ ترفضُ أن تنطلقَ من أي شيءٍ غير الحياةِ la vie للنفاذِ إلى الكونِ في جملتهِ l'être dans sa totalité.⁴

و منطلقُ نيتشه هو الحياةُ الثابِتةُ في تضاعيفِ جسدنا الخاص بوصفه محلاً لكل أنواعِ الغرائزِ والأهواءِ، نظراً لأنَّه العالمَ الوحيدَ المعطى لنا، والشاهدُ النصيُّ على هذا هو قولُ نيتشه: "إنَّنا لا نستطيعُ أن ننزلَ أو أن نصعدَ إلى أي واقعٍ آخرٍ بالتحديدِ غير واقعِ دوافعنا* الغريزية*"⁵ [ترجمة هنري ألبير: غرائزنا nos instincts].⁶ وعلى أساسِ هذه الغرائزِ المعطاةِ لنا في الجسدِ الخاص، وقياساً عليها، نجعل للعالمِ غير العضوي، بما هو العالمُ الميكانيكي، واقعيةً تكوُّنُ من نظامِ أهوائنا وانفعالاتنا وعلى هذا المنوالِ فقط نقيسُ الكونَ بمقياسِ غرائزنا حيثُ يغدو العالمُ الميكانيكيُّ الصورةَ الأكثرِ

¹ Eric Blondel: Nietzsche, le corps et la culture, PUF, Paris, 1986, p 288.

² Friedrich Nietzsche: La volonté de puissance, Trad Bianquis, tom 1, aphorisme 261: « Les sentiments et les pensées sont des choses extrêmement menues et rares en comparaison des faits innombrables qui remplissent les moindres instants. »

³ Idem, aphorisme 270.

⁴ J.C.Lannoy: Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, Édition Desclée de Brouwer-paris 1952, P11.

⁵ إنَّ ترجمة هذه اللفظة بلفظة الاندفاع الغريزي أصحُّ لا لشيءٍ إلا لكون فولتينغ نفسه، من جهةٍ، يقارب إلى حد الترادف في قاموسه عن نيتشه بينها والغريزة و من جهةٍ أخرى لأنه مراعاةً لتأدية ما تنطوي عليه اللفظة من معاني فالجمع بين معاني الغريزة و الاندفاع أفضل من طرح أحدهما .

Céline Denat et Patrick Wotling: dictionnaire de Nietzsche, Edition Ellipses, 2013, pp 175-174-204-205.

⁶ Friedrich Nietzsche: Par delà le bien et le mal, Trad Henri Albert, aphorisme 6: « Que nous ne puissions descendre ou monter vers aucune autre « réalité » que celle, précisément, de nos pulsions. »

بُدائيةً لعالم الأهواء و يصبح ضرباً من ضروب الحياة الغريزية في بدايتها القديمة¹ وهو الشكل الذي عنه ينشأ فيما بعد ما يتفرع و يتطور في السيرة العضوية، بيد أن هذا الشكل الأولي للأهواء لا يُعطى لنا إلا بإجراء معرفي على شاكلة القياس الذي يسمح بتوسيع الغرائز والأهواء المكونة لكياننا، بما هي إرادة القوة، إلى مجموع ما هو كائن و بالتالي تطبيع الكون بأجمعه بطابع خواص الحياة العضوية التي تمتاز بها من إحساس وتفكير وإرادة² غريزيين، أي أن الأنطولوجيا النيتشوية تفهم بمقتضى ذلك على أساس البيولوجيا. وبناءً على هذا المد لإرادة القوة من خلال توسيع خاصيات الحياة العضوية إلى العالم المادي نفسه نتمكن عقب ذلك من ردّ كل حياتنا الغريزية بأسرها إلى ديناميكية الإرادة كما يفهمها نيتشه، و ينجر عن ذلك إلحاق العالم المادي إلى حيوية الريدة³ طالماً أنه يجري افتراض أنه من نظام غرائزنا نفسه ولا يوجد فرق بينه كشكل انفعالي أولي و بينها سوى فرق القدم والأسبقية الأنطولوجية وليس البتة فرقاً نوعياً⁴. و على إثر هذه الطريقة التصورية لدى فيلسوف القوة تغدو حياتنا الغريزية قاطبةً تطوراً وتفرعاً عن شكل أساسي فريد و أوحده للإرادة⁵ بما هي إرادة القوة و من ثم يُعمدُ بعدئذٍ إلى إرجاع كافة الوظائف العضوية، بما في ذلك العالم اللاعضوي الذي تم قياسه و التعامل معه على أساس العضوي، إليها أيضاً.

بموجب هذا كله، ليس الجسد وحدةً عليا بقدر ما هو كثرات، فهو على حدّ تعبير نيتشه: "صرح جماعي لأنفس عدة"⁶ أو "بنية اجتماعية تتكوّن من عدة أنفس"⁷ كما في ترجمة باتريك فوتلينغ، و ما ذلك في تقديرنا إلا لكون الجسد عبارة عن: كثرة أرواح pluralité d'esprits⁸ وكثرة غرائز pluralité de pulsions⁹ وكثرة قوى pluralité de forces¹⁰ وكثرة أنفس pluralité d'ame¹¹ وكثرة من "إرادة القوة" pluralité de «volonté de puissance»¹²، وهذا ما حدا بددييه فرانك إلى القول بأن "الجسد عبارة

¹ Friedrich Nietzsche: Par delà le bien et le mal, Trad Henri Albert, aphorisme 36.

² Pierre Montebello: Nietzsche la volonté de puissance, p 13.

³ Jean Granier: Le Problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, p 451.

⁴ Wolfgang Muller-Luter: Nietzsche : physiologie de la volonté de puissance, Edition Allia 1992., p 83.

⁵ Friedrich Nietzsche: Par delà le bien et le mal, Trad Henri Albert, aphorisme 36.

⁶ Friedrich Nietzsche: Par-delà le bien et le mal, Trad Geneviève bianquis, Paris, Aubier, 1951, aphorisme 19 : « Le corps est l'édifice collectif de plusieurs âmes.»

⁷ Friedrich Nietzsche: Par-delà le bien et le mal, Trad Patrick Wotling, aphorisme 19: « Une structure sociale composée de nombreuses âmes.»

⁸ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes 1982-1983, Fragments Posthumes, 4 [207].

⁹ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes, Fragments Posthumes: 1884, 27 [59].

¹⁰ Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes, Fragments Posthumes: 1885, 34 [123].

¹¹ Friedrich Nietzsche: Par-delà le bien et le mal, Trad Patrick Wotling, aphorisme 19.

¹² Friedrich Nietzsche: Œuvres philosophiques complètes, Fragments Posthumes: 1885-1886, 1 [58].

عن كثرة من الأعضاء أو هو "وحدة ذات تعدد في الإرادات"¹ وفي معنى آخر إنه تنظيم للإرادات². ولا مماحكة أن هذه التعددية في الجثمان تفترض أن يكون الجسد هو السبيل الأمثل لفهم الحياة حيث نلفي فيها تقسيماً للمهام³ بين مختلف مراكز القوة على الاقتدار، علاوة على انطباعه بالتراتب الذي يخلق وينمو داخله⁴.

لا غرو، على خطى هذا التبيان لمختلف طرز الكثرات إذن، من أن يكون الجسد بمثابة منزلة وسطى بين الكثرة المطلقة لعَمَاهِ العالم والتبسيط المطلق للعقل، ذلك أن الجسد الإنساني من حيث هو لعب الانفعالات يتنزل، في مقام أولوية الكثرة وصدارته، المنزل الأولى؛ لكنه بإزاء عَمَاهِ العالم المطلق فهو يتبوء مرتبة ثانوية⁵. هذه الأهمية القصوى للجسد هي التي دفعت الفيلسوف النازي "باوملر" إلى أن يذهب إلى أن معنى الجسد، بالنسبة لواقعية نيتشه، يكمن في معرفة الأشياء كما هي "في ذاتها" بواسطته بوصفه آله حسيّة، بل إن الجسد نفسه، حسب تأويله لنيتشه، عبارة عن شيء "في ذاته" بخلاف المقولات العقلية التي هي من اختلاق المخيلة⁶.

في إطار مركزية الجسد بما هو غرائز وانفعالات، يقول نيتشه لتبيان أن ما يصنع التاريخ ليس العقل وإنما الجسد: "هكذا يجتاز الجسد التاريخ، فيتحوّل و يكافح. وما الروح بالنسبة للجسد؟ إنه بطل صراعات الجسد وانتصاراته ورفيقه وصدده"⁷. إن فاعلية الجسد، بما هي غرائز اندفاعية لا تنفك تبدع الحياة وفق ناموس الإرادة الفاعلة والجرة، هي التي أفضت بنيتشه إلى أن يقول في إحدى شذراته في مصنفه "هكذا تحدث زرادشت": "أصيخوا السمع بالأحرى يا إخوتي إلى صوت الجسد المعافي: إنه أوفى وأنقى صوت [إنه في غاية في الأمانة والنقاوة]. إن كلام الجسد السليم أوفى وأنقى، إنه الجسد الكامل والحازم⁸*: إنه يتكلم عن معنى الأرض..."⁹.

¹ Franck Didier, Nietzsche et l'ombre de Dieu, PUF, Paris, 1998, p 78: « Unité d'une pluralité de membres » - « Unité d'une pluralité de volontés. » Voir aussi les pp 79, 185 et pp 399 - 401 par exemple .

² Franck Didier: Nietzsche et l'ombre de Dieu, p 78.

³ Idem, p 235

⁴ B Stiegler: Nietzsche et la biologie, p56: « Mais ce qui fait le propre du corps vivant, ce qui le différencie radicalement des centres de force physico-chimiques, c'est que chez lui, la hiérarchie se crée et s'accroît à l'intérieur de lui-même. »

⁵ Eric Blondel: Nietzsche, le corps et la culture. PUF, Paris, 1986, p 284.

⁶ Stépan Odouev : Par les sentiers de Zarathoustra: influence de la pensée de Nietzsche sur la philosophie bourgeoise, p 255.

⁷ Friedrich Nietzsche: Ainsi parlait Zarathoustra Trad par Henri Albert, in Œuvres complètes de Frédéric Nietzsche, vol 9 , Société du Mercure de France, 1903 [sixième édition], De la vertu qui rapetisse: « Ainsi le corps traverse l'histoire, il devient et lutte. Et l'esprit — qu'est-il pour le corps ? Il est le héraut des luttes et des victoires du corps, son compagnon et son écho. »

⁸ [الذي هو في محتده عنيدٌ أو ربما ترجم على هذا النحو: الصريحُ أو الشريفُ أو المخلص].

⁹ Friedrich Nietzsche: Ainsi parlait Zarathoustra, Trad Henri Albert, Des hallucinés de l'arrière-monde: « Écoutez plutôt, mes frères, la voix du corps guéri: c'est une voix plus loyale et plus pure. Le corps sain parle avec plus de loyauté et plus de pureté, le corps complet, carré de la tête à la base: il parle du sens de la terre. »

توردُ نصوص نيتشه الصريحة عن الجسد عدة وظائف فلسفية من بينها استعماله كمقولةٍ ضدَّ اختزالِ الكثرة التي جرى تكريسها من طرف الأخلاق الميتافيزيقية التي نظَّرت لهيمنة الوعي¹، هذا يدل على أنَّ الكثرة الجثمانية هي بمثابة الحيزِ الحضورى الفسيح الذي لا ينضب مَعِينُهُ والذي يحضُرُ فيه الواقع الكونى برُمته² وهذا بفضل ما يتمتع به الجسدُ من حواسٍ تفتُحُ على حراكِ العالم المتعدد الأشكال³؛ وهذا أمر لا يعقلُ إلا أن يكونَ حجةً على أهمية الحواسِ بالنسبة لنيتشه الذي ذهبَ إلى أنَّ الإيمانَ بالحواسِ يُعتبرُ المعطى الأساسى الذي لا عنه بدُّ⁴ طالما أنَّها تفتحنَا على كثرة العالم و صيرورته الحيويةِ خلافَ العقلِ الذي يعملُ على تزييفها وتبسيطها.

على ضوء هذا المنظور الذي أوضحناه سالفاً، يصبحُ الإنسانُ مثلما العالم العضوي وغير العضوي مُشكَّلاً من هذه الكثرات الغريزية، يبينُ نيتشه ذلك قائلاً: "إِهْتِدَاءٌ بالجسدِ، يمكنُ الإقرار بأنَّ في الإنسانِ كثرةً من الكائنات الحيوية، والتي من جهةٍ تتقاتلُ فيما بينها، ومن جهةٍ أخرى يكونَ فيها أمر ومأمور، يجعلون دون درايةٍ من إثبات كينونتهم الفردية إثباتاً أيضاً للمجموع ... إنَّ الكليةَ التي تُكوِّنُ الإنسانَ تمتلكُ جميعَ خواصِ الجهاز العضوي و التي تطلُّ لنا في جزءٍ منها غير واعيةٍ و تغدو لنا واعيةً في جزءٍ منها تحتَ شكلِ غرائزٍ".⁵

2.4- مفهوم الأنا والوحدة على ضوء أونطولوجيا التعدد

من الخليق بالذكر أيضاً، أنَّ الأنا، في نظر نيتشه، ليس بالمرّة جوهرّاً راسخاً كما نظرت له الفلسفات المثالية، وإنما هو تعدديةٌ من القوى المشخّصة حيث تتولّى بعضُ القوى السَّوسَ دُولاً وحيثُ تبدلُ الهيمناتُ سَجَلاً داخل مركبات القوى على نحوٍ يفضي إلى تصيير الذاتِ كياناً غير مستقر⁶ و إثر ذلك

في ترجماتٍ أخرى :

« Plus loyalement , plus purement discount le corps en bonne santé , parfait et bien carré, et son discours concerne le sens de la terre » traduction de maurice de candillac , Édition Gallimard,1971.

« il tient un langage plus honnête et plus pur , le corps sain, accompli, bâti à l'équerre , et il parle su sens de la terre » traduction de Geneviève Bianquis 1969 Edition Aubier .

¹Gianni Vattimo: Introduction à Nietzsche, De Boeck Supérieur, 1991, p 96 .

² H. Lefebvre, Hegel, Marx, Nietzsche, Édition [Casterman](#), 1975., p. 209.

³ Guibal Francis: F Nietzsche ou le désir du oui créateur. In: Revue Philosophique de Louvain. Quatrième série, Tome 82, N°53,1984.P70 .

⁴Friedrich Nietzsche: La volonté de puissance, Trad Bianquis, tome I, p 280.

⁵Fragments Posthumes: 1884, 27[27]:« En nous guidant sur le corps nous pouvons reconnaître en l'homme une multiplicité d'êtres animés, qui, d'une part, se combattent mutuellement, d'autre part, ordonnés et subordonnés comme ils sont entre eux, font sans le vouloir de l'affirmation de leur être individuel une affirmation aussi de l'ensemble...La totalité qui constitue l'homme a toutes les propriétés de l'organique, qui pour une part nous demeurent inconscients et pour une part deviennent conscients sous forme d'instincts. »

⁶Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: A, 6 [70] .

تغدو الذات من غير وحدةٍ متعاليةٍ تقبّع وراء تعددية الأهواء المكوّنة لنسيج الإنسان¹، ذلك أنّ كل اندفاع غريزي في باطنه هو بلا ريب إرادة القوة أي أنّ كلّ اندفاعٍ هو نزوعٌ إلى السيطرة وميلٌ إلى فرض منظوره على أنه معيارٌ لباقي الاندفاعات²، ويفرّز هذا جميعه ملياً الاستبدالات والانزياحات لكوكبات القوى³.

على ضوء أسبقية الكثرة على الوحدة، بما أنّ الوحدات نفسها عبارة عن نتائج لصراعات الغرائز، ذهب فولفغونغ مولر لوتر إلى أنّ الوحدة عند نيتشه ينبغي أن تدرك على أنها تنسيقٌ ولعبٌ متبادلٌ بين القوى⁴، بينما يذهب باتريك فولتينغ إلى أنّ الكثرة لا توجد إلا تحت شكلٍ مُتكثّرٍ وعلائقيٍّ يعود إلى كثرة القوى و من إرادات القوى ومن الغرائز المنظمة بأسرها إلى أجلٍ مسمى أو المدرجة في صفدٍ بنيةٍ ترابعية معينة ذات ميقاتٍ ظرفي⁵؛ وعلى هذا الأساس يُحجّر مماهة "إرادة القوة" مع مبدأ في راحةٍ سرمديةٍ متطابقٍ مع نفسه ولا يجوز أيضاً مماهاتها مع مبدأ يُحدِث الوقائع الفردية على سبيل الإنتاج⁶ الميكانيكي؛ مُسوِّع ذلك هو أنّ الواحد بالمفهوم النيتشوي لا يني ولا يبرح عن الإحالة إلى الكثرة التي تتنزّل المثابة الأولى في تفكير الفيلسوف؛ أي أنه حريٌّ بالمرء القول بأنه لا وجود إلا لإرادات قوى في حالة تنافسٍ ومنافحةٍ ومضاربةٍ سرمديةٍ. وهذا يشير حقاً إلى أنّ إرادة القوة ليس لها أي واقعٍ معزولٍ ومستقلٍ عن اللعب الواقعي والعملي والمضاعف للسيرورات الخاصة التي يتأوّل بعضها بعضاً⁷. وبناءً على هذا التعالق الصراعي فلا وجود لإرادة القوة بميزة أونطولوجيةٍ بمعزلٍ عن العالم الحي والمتطور الذي تحلّ فيه⁸.

الخاتمة:

انتهينا على ضوء هذا البسط التوضيحي لبعض مفاهيم نيتشه الكبرى إلى أنّ الوجود ليس وحدةٍ سكونيةً تتعالى عن الصيرورة والكثرة والصراع بل هو مؤلفٌ من تعددياتٍ غرائزيةٍ، من وجهٍ، تشغل كافةً المراتب الوجودية، علاوة على أنه سيرورة تتحرّك وفق منطقيٍّ حيويٍّ يجعل من القوى المتعددة، من وجهٍ آخر، تتعالق وفق تدافعٍ وتصارعٍ أبديٍّ. وهذه الخاصيات التي تؤلف ماهية العالم ما هي إلا صفات أونطولوجية لإرادة القوة والتي هي المبدأ التكويني الذي يقبّع في قلب الظاهرات و يجعلها في نزوعٍ دائمٍ إلى التدافع ابتغاء القوة. ولكي تقتدر العاقلة على فهم الطابع التكويني للوجود ما عليها إلا أن ترتد إلى واقعة أصيلة وفريدة، فيها من الغنى ما يكفي لكي نقف بفضلها على الطابع الغريزي

¹ Idem, 73.

² Friedrich Nietzsche: Fragments Posthumes: XII, 7[60].

³ Wolfgang Müller-Lauter: Nietzsche: physiologie de la volonté de puissance, p72.

⁴ Wolfgang Müller-Lauter: Nietzsche: physiologie de la volonté de puissance, pp 47-56-66-67.

⁵ Idem, p 15.

⁶ Idem, pp 17-55.

⁷ Idem, p 18.

⁸ Pierre Boudot: Nietzsche en miettes, PUF, 1973, p 101..

للإرادة الذي يحركُ العالمَ من الباطن، وما هذه الواقعةُ في تقدير نيتشه إلا الجثمان الإنسانيّ. ولا يعزبُ عنا أن نيتشه ارتكازاً على الطبائع الجسميّة قامَ بمدّها إلى سائر الموجودات التي يتألف منها الجثمان الكونيّ. وبدلَ الانكماش رعباً من حقيقة العالم، على الإنسان أن يجابهها ويوظفَ الإرادة الفردية والجماعية بما هي غرائز اندفاعية في سبيل تشكيل العالم الفردي والجماعيّ وفق إرادة لا تنفكُ تشرّب إلى الماضي قدماً في مراقبة القوة.

المصادر والمراجع

أ) المصادر

Nietzsche, (F.), OEUVRES I, Paris, Robert Laffont, 1993, contenant:

La naissance de la tragédie

Considérations inactuelles: I David Strauss

II De l'utilité et de l'inconvénient de l'histoire pour la vie

III Schopenhauer éducateur

IV Richard Wagner à Bayreuth

Humain, trop humain

Le voyageur et son ombre

Aurore

Nietzsche, (F.), OEUVRES II, Paris, Robert Laffont, 1993, contenant:

Le Gai Savoir

Ainsi parlait Zarathoustra

Par-delà le bien et le mal

La Généalogie de la morale

Le Cas Wagner

Le crépuscule des idoles

L'Antéchrist

Ecce Homo

Nietzsche contre Wagner

Dithyrambes de Dionysos.

Nietzsche, (F.), Ecrits posthumes, Paris, Gallimard, 1975.

Friedrich Nietzsche:œuvres ; Flammarion, 2017:

Table des matières

Préface par Patrick Wotling.

Gai savoir traduction par Patrick Wotling.

Ainsi parlait Zarathoustra traduction par Geneviève Bianquis .

Par-dela bien et mal traduction par Patrick Wotling .

Généalogie de la morale traduction par Eric Blondel , Old Hansen –love , Théo Leydenbach .

Le cas de Wagner traduction par Henri Albert .

Le crépuscule des idoles traduction par Henri Albert.

L'antéchrist traduction par Eric Blondel.

Ecce homo traduction par Eric Blondel.

Nietzsche contre Wagner traduction par Eric Blondel.

Friedrich Nietzsche: Œuvres complètes (24 titres annotés et illustrés), Arvensa Editions , 15 juil. 2014 – 8802 pages.

Œuvres philosophiques complètes, Gallimard. Les volumes ci-dessous sont ceux cités par défaut dans le texte (l'abréviation utilisée lors des citations est placée à gauche, de façon à former une table des abréviations) .

Œuvres complètes de [Frédéric Nietzsche](#) publiées sous la direction de [Henri Albert](#) Société du Mercure de France, Paris.

(VP) Nietzsche, La volonté de puissance, Essai d'une transmutation de toutes les valeurs, Paris, Librairie Générale Française, Le livre de Poche, 1991 (1903).

Friedrich Nietzsche : Volonté de puissance. Trad. De l'allemand par Geneviève Bianquis, texte établi Friedrich Nietzsche : La naissance de la philosophie à l'époque de la tragédie grecque, trad Geneviève Bianquis, paris, Gallimard ,1938ar Friedrich Würzbach. Paris : Gallimard, quatre tomes, deux volumes. 1995.

ب) الدراسات المتخصصة

Jean Granier : le problème de la vérité dans la philosophie de Nietzsche, Edition Seuil 1966.

Gille Deleuze: Nietzsche et la philosophie, Edition PUF 1962.

Pierre Montebello: Nietzsche la volonté de puissance, PUF 2001

Safranski Rüdiger: Nietzsche Biographie d'une pensée, traduit par Nicole Casanova, Solin, Actes Sud, 2000.

Georges Goedert: Nietzsche, critique des valeurs chrétiennes: souffrance et compassion, Edition Beauchesne 1977.

Stepan Odoueu: Par les sentiers de Zarathoustra: Influence de la pensée de Nietzsche sur la philosophie bourgeoise allemande ; Edition du progrès Moscou, 1980.

Céline Denat et Patrick Wotling: dictionnaire de Nietzsche, Ed Ellipses 2013.

Wolfgang Muller-Luter: Nietzsche : physiologie de la volonté de puissance, Edition Allia 1992.

Franck Didier, Nietzsche et l'ombre de Dieu, PUF, Paris, 1998.

[Gianni Vattimo](#): Introduction à Nietzsche, De Boeck Supérieur, 1991.

H. Lefebvre, Hegel, Marx, Nietzsche, Édition [Casterman](#), 1975.

Pierre Boudot: Nietzsche en miettes, PUF, 1973.

J.C.Lannoy: Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée, Édition Desclée de Brouwer-paris 1952

ج) المقالات

Guibal Francis: F Nietzsche ou le désir du oui créateur. In: Revue Philosophique de Louvain. Quatrième série, Tome 82, N°53, 1984. P70 .